الفصل الرابع

التربية الجنسية فى منهج الدراسة

ينبغى اعتبار التربية الجنسية جزءاً حيوياً من عملية التربية بأكملها، ولا يصح أن نقصرها على جزء خاص مستقل من «المنهج» نقوم «بتدريسه» فى فترة معينة ثم ينتهى أمره بمجرد الفراغ من تدريسه.

مكان التربية الجنسية من منهج الدراسة

لقد أكدنا فيما سلف من القول أن مهمة توصيل المعلومات الجنسية إلى الأطفال ليست سوى جانب واحد من جوانب التربية الجنسية، كما أن ذلك ليس أهم جانب منها بل ربما كان هناك من الجوانب الأخرى ما يفوقه فى الأهمية. ومع ذلك فينبغى علينا أن نوليه عناية فائقة. وإذا كان من واجب الآباء والأمهات أو من يقوم مقامهم أن يدلوا إلى الطفل ببعض المعلومات الجنسية عندما يسألهم عنها أو عندما يجدون الفرصة مناسبة لذلك فالواضح تماماً أن المدرسة هى أنسب مكان لتزويد الطفل بقسط كبير من هذه المعلومات. ذلك لأن وسائل الوالدين ومعلوماتهم فى هذه الناحية تقصر عن بلوغ الغاية المنشودة، فعجلة الزمان تدور والعالم فى تقدم. وبينما كانت مرافق الحياة بسيطة إذا بها تغدو فنوناً معقدة. ولنضرب مثلاً بشئون المنزل: لقد كان يكفى لإدارة المنزل أن تعلم الأم ابنتها كيف ترتب الفراش وتعد المائدة، وكيف تنظف الأطباق وتطهى الطعام وتخيط الثياب. ثم دار الزمن دورته فإذا بنا وقد أصبح الطهى فناً وأصبح الغذاء كيمياء. وأصبحت خبرة الوالد المحدودة فى الحساب مثلاً لا تكفى لمعاونة أبنائه فى حل تمارين الهندسة وهكذا، فرغم قيام الوالدين بدور فى التربية الجنسية فلن نستطيع أن نغفل أهمية الدور الذى ينبغى أن تقوم به المدرسة فى هذا السبيل. وذلك يحتم على المدرسة أن تأخذ أمر التربية الجنسية على عاتقها، ووسيلتها لتحقيق ذلك مدرسون لديهم المعلومات الضرورية – أو على الأقل لديهم القدرة والفرصة على تزويد أنفسهم بها – ولديهم خبرة طيبة فى خير الأساليب لتوصيل هذه المعلومات إلى التلاميذ. لذا يتحتم على القائمين بأمر التربية الجنسية فى المدرسة أن يدرسوا موضوعات المنهج دراسة تفصيلية حتى يتدبروا خير الطرق لعرضها.

ويظن فى بعض الأحيان أن اهتمام المدرسة بأمر التربية الجنسية يعنى إضافة مادة جديدة إلى منهج مكتظ أو إضافة بعض الدروس إلى إحدى المواد الموجودة فعلاً. وليس أبعد من ذلك الظن عن الصواب. فإن التربية الجنسية على وجه العموم ينبغى أن تتخلل الحياة المدرسية

كلها، ولا يمكن قصرها على دراسة خاصة أو مدرس معين وما ينبغى أن تكون كذلك. والحقائق الضرورية لفهم الجنس فهماً صحيحاً - سواء أكانت حقائق فى علم الحياة أو الاجتماع أو الأخلاق - لا يصح بأى حال من الأحوال أن تنزع من مناسباتها الطبيعية ثم تجمع تحت عنوان «التربية الجنسية» إذ يستحيل علينا فصل الاتجاهات السليمة والمثل العليا - ولها فى التربية الجنسية ما للمعلومات الصحيحة من الأهمية - عن الجو المدرسى العام. وكلما كانت التربية الجنسية فى المدرسة غير محسوسة وأقل وضوحاً كلما كانت أفضل وأتم لأنها تسير حينئذ سيرها الطبيعي مع الحياة العادية للمدرسة، ولا تبدو أنها أقحمت إقحاماً. وكلما كانت محسوسة ظاهرة كلما كان ذلك دلالة على النقص والقصور عن الكمال.

التربية الجنسية في مدارس الحضانة ورياض الأطفال: ليس ثمة ضرورة إلى التعليم الجنسى المنظم فى مدارس الحضانة ورياض الأطفال، بل إن هذا النوع من التعليم الجنسى غير مرغوب فيه فى تلك المرحلة بالذات، حقاً إن التربية المثالية تتطلب منا أن نجيب بأمانة على جميع أسئلة الطفل فى هذه الناحية - ولو أن بعض الآباء لا يزالون لسوء الحظ يعارضون هذا الاتجاه - غير أن التربية الجنسية الصريحة ينبغى ألا تتعدى الإجابة عن هذه الأسئلة والفرص التى تهيؤها مثلاً ملاحظة الدواجن فى المدرسة تهيئ الأحوال لنوع من التعليم الجنسى يقارب التعليم المنظم، ولا ينبغى أن تتعدى التربية الجنسية المباشرة ذلك المدى فى تلك المرحلة.

ورغم ذلك فمن المؤكد أن التربية الجنسية تجرى مجراها الطبيعى طول الوقت. إذا أن اشتراك الأطفال من الجنسين فى استعمال دورة المياه وتعودهم اللعب وهم شبه عراياً تحت أشعة الشمس سوف يضعف عندهم الرغبة فى التطلع إلى جسم الجنس الآخر. ولسوف يكون هناك بالطبع بعض الميل إلى الاستطلاع، ولكنه الميل العادى الطبيعى السليم الذى ينتظر من صغار الأطفال الأذكياء الذين لا يزالون يستكشفون العالم المحيط بهم. وربما يلاحظ ذلك بنوع خاص فى حالة الطفل الوحيد الذى لم تسنح له الفرصة لرؤية جسم الجنس الآخر فى المنزل. ومن الخير للجميع أن تشبع هذه الرغبة فى الاستطلاع فى سن مبكرة بدلاً من أن تترك صادية مختفية فتؤدى إلى العواقب الوخيمة فى مستقبل الأيام.

حدث مرة فى إحدى الرياض ما أقلق المعلمات. فبعد أن علّمن الأطفال كيف يبثون المرايا الصغيرة فى أطراف العصى الطويلة لكى يتسنى لهم ملاحظة أعشاش الطيور من الداخل بدون إحداث ما يقلقها، عمد بعض هؤلاء الأطفال إلى وضع المرايا بين سيقان البنات لكى يشاهدوا ما تخفيه ملابسهن! ويستحيل علينا أن نتكلم عن يقين فى الدافع لهم إلى ذلك، ومهما كان الأمر فالمنتظر ألا يحدث مثل ذلك فى حالة الأولاد الذين أشبع استطلاعهم فى سن مبكرة اللهم إلا إذا كان عملهم هذا لا يخرج عن كونه من مرح الأطفال وتعابثهم.

وجدير بالذكر أن ألفة الطفل الصغير رؤية أجسام الصغيرات من أترابه لا يعطيه حتما فكرة صحيحة عن الفروق بين الرجال والنساء. بل إن منظر البنت الصغيرة بملامحها الصبيانية وصدرها الضامر الذى لم يبرز فيه النهدان بعد قد يكون من نواح كثيرة أقرب شبها إلى أبيها منها إلى أمها. وعلى كل حال فمن الممكن أن تؤدى تلك الألفة إلى إشباع الرغبة المباشرة إلى الاستطلاع.

ويدعونا داعي الحرص فى مدارس الحضانة ورياض الأطفال كما دعانا فى المنزل إلى أن نعلم الطفل أهمية الوظائف الإخراجية بكيفية لا تثير فيه الشعور بالتقزز منها، ذلك لأن الأعضاء الجنسية وأعضاء الإخراج ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، وربما تحول أى شعور بالاشمئزاز نحو أعضاء الإخراج إلى الأعضاء الجنسية مع ما يؤدى إليه ذلك من آثار سيئة على اتجاه الطفل نحو الجنس فى مستقبل حياته. وقد تحدث العادات السرية عند الأطفال عرضاً فى مدارس الحضانة، لكى ينبغى أن يعالج ذلك على النحو الذى أسلفنا ذكره، فى الفصل السابق.

التربية الجنسية فى المدارس الابتدائية: وعندما يلتحق الطفل بإحدى مدارس المرحلة الأولى يمكننا أن نقطع فى التربية الجنسية شوطاً آخر. فلدينا دروس مشاهد الطبيعة وما توفره من فرص لدراسة الجنس والتناسل، بشرط ألا نقصر الانتباه على عملية التلقيح كما يحدث ذلك فى الغالب. غير أن من الأخطاء الشائعة اعتقادنا بأن الطفل يستطيع بمفرده أن يربط فى تفكيره بين ما يحدث فى الزهرة وما يحدث عند البشر. ليس معنى ذلك أننا نغض من قيمة دراسة التلقيح، وإنما ننادى بالحرص فى تناول هذه الموضوعات لأن التساهل فيها والاستخفاف بها قد يبلبل الصغير ويبعده عن جادة الصواب. ومما لاشك فيه أن العمليات الجنسية فى الزهور فد تهيئ لنا مادة طيبة لدراسة الجنس، فلا ريب فى أن فكرة التذكير والتأنيث وعملية الإخصاب وتكون الجنين وحماية الجنين النامى يمكن أن تتم دراستها جميعاً على أساس دراسة تكاثر النبات. ومع ذلك فمن الخطأ أن ندعى كما يقولون فى كثير من الأحيان صراحة أو ضمنا أن البدء بدراسة النبات هو أبسط تمهيد للموضوع، فكثير من النباتات لها دورات إنتاجية معقدة وإذا أردنا أن نجعل الحقائق التى تعرض للطفل أكثر وضوحاً بدلاً من أن تصبح أكثر اضطراباً لوجب علينا أن نوجه عناية فائقة إلى النماذج التى نتخذها موضوعاً للدراسة. فمثلاً تصلح دراسة النباتات البحرية للأطفال الذين يعيشون فى بيئة بحرية مع العلم أن لعملية التكاثر فى بعض هذه النباتات ما يماثلها فى بعض الحيوانات. كما أن تقسيم الأفراد إلى ذكر وأنثى وإنتاج الحيوانات المنوية المتحركة وتلقيح البويضة لها ما يناظرها عند الضفادع. ومهما كان نوع النباتات التى يقع عليها اختيارنا فإن من الضرورى دراسة الحيوانات أيضاً.

كما أن جولات مشاهد الطبيعة تهيئ الفرصة للإشارة العرضية بلغة مناسبة إلى تزاوج الضفادع وتآلف الطير، ورعاية الأفراخ ورضاع الحملان وما إلى ذلك. وليس من الضرورى فى أية حالة من هذه الحالات أن نشير إلى الجنس بشكل صريح، ولكن هذه المشاهدات كلها تكون الأفكار الصحيحة عن التزاوج والتكاثر وتدعمها بالتدريج. وينطبق مثل هذا القول على تربية الدواجن فى المدرسة. ولسوف يتعلم الأطفال عن طريق تربية البط والأرانب أكثر مما يتعلمونه من عدة أحاديث عن التكاثر. كما أن موضوعات الأبوة والأمومة والتزاوج والولادة والرضاع سوف تصبح بالتدرج جزءاً من ذخيرة الطفل من المعرفة ومن العوامل المؤثرة فى تفكيره. ولو قام التلاميذ بتربية قليل من السمك البلطى مثلاً فى حوض ماء بالمدرسة فإن أفكار التعاطف وتكوين الأسرة ومسئولية الأب قد تتكون عندهم كذلك. ونحن نهدف فى كل هذه الحالات السابقة إلى تكوين الاتجاهات وهى أهم كثيراً من مجرد تحصيل المعرفة.

وإذا استطعنا فى هذه المرحلة أن نهيئ الفرص لبناء الاتجاهات الصحيحة نحو الجنس وغرس بذور الثقة المتبادلة بين الطفل ومدرسيه فلن يكون ثمة داع إلى الدروس المنظمة عن تناسل البشر فإذا ما دخل الأطفال فى المرحلة التى ينبغى علينا أن نمدهم فيها بالمعلومات المنظمة عن الأمور الجنسية فإن ذوى الذكاء العادى منهم يكونون قد حصلوا على معلومات ذات قيمة نتيجة للأسئلة التى كانت تعن لهم والأجوبة التى كانت تلقى إليهم عفو الساعة. والحق إنه يحتمل ألا تكون هذه الأسئلة العرضية والإجابات المبسطة قد أكسبتهم قدراً كبيراً من الأسماء العلمية لأعضاء التناسل والنواحى التشريحية والجنسية – وإن كان ذلك ممكنا فى كثير من الأحيان – إلا أننا على يقين من أن الحقائق الأساسية للناحية الجنسية سوف تكون واضحة فى أذهانهم ناهيك بما سيكون لديهم من اتجاهات سليمة نحو الجنس وهذا هو الأهم من الناحية التربوية. ولقد كتبت إحدى التلميذات بلغة ساذجة ولكنها عميقة الدلالة تقول: «.. وعندى أن من أكثر الضروريات لزوماً للأطفال عندما يبلغون التاسعة أو العاشرة من عمرهم أن يقفوا على جميع الحقائق عن التناسل حتى لا تشوش أذهانهم الأفكار السخيفة عن هذه الأمور. وإذا ما شرحت لهم هذه الحقائق ببساطة فهموها فى يسر وأفادتهم كثيراً عندما يكبرون، كما أن ذلك سوف يفيدهم فى مستقبلهم أيضاً عندما يأتى دورهم فى تربية أطفالهم ويتحتم على الوالدين أن يشرحا لهم الحقائق حتى يجنبوهم الزلل نتيجة لجهلهم بتلك الحقائق..».

<u>التربية الجنسية فى المدرسة الثانوية</u>: وعندما يدخل الأطفال المدرسة الثانوية تتهيأ الفرصة للمربى للقيام بالتربية الجنسية على وجه أكمل وأغنى، ذلك لأن التلاميذ يكون لديهم من الناحية الفكرية القدرة على هضم كثير من الحقائق الجديدة، وعلى فهم كثير من الأفكار التى لم يألفوها من قبل؛ ومن الناحية الوجدانية يكونون بصدد اكتساب نوع من التقدير لمعنى

الحب بين الرجل والمرأة، وبين الوالد وولده؛ ومن الناحية الاجتماعية فإنهم يبدأون فى الشعور بفرديتهم شعوراً قوياً كما يشعرون بمكانهم فى المجتمع. وينبغى على المربى أن يدخل في حسابه أن هؤلاء الأطفال سوف يعانون فى المستقبل القريب تغييرات جسمية أساسية بعيدة المدى، وسوف تؤثر هذه التغيرات الجسيمة مع ما يستتبعها من تغيرات انفعالية فى حياة هؤلاء التلاميذ وفى نظرتهم إلى الحياة وسوف تثير أمامهم عدة مشكلات لم يألفوها من قبل ولهذا كله تشتد حاجتهم وتتزايد إلى التربية الجنسية، وهذه الحاجة المتزايدة إلى التربية الجنسية تتمشى جنباً إلى جنب مع قدرتهم المتزايدة على الإفادة منها. وهكذا بينما يتحتم على المدرس فى المدرسة الثانوية أن يؤدى مهمة شاقة فإن أمامه فرصاً لأداء تلك المهمة. وسوف نذكر فيما يلى كيف يتسنى للمدرس استغلال هذه الفرص عندما تسنح له فى أثناء التدريس.

علم الأحياء – سبق لنا القول بأن التربية الجنسية فى المدرسة الابتدائية ينبغى أن تكون عرضية فى أغلبها، أما فى المدرسة الثانوية – وتلاميذها من سن الحادية عشرة فما فوق – فإن التربية الجنسية المنظمة ينبغى أن تدخل الميدان.

وما دمنا بصدد الكلام عن الدراسة المنظمة لحقائق التناسل فمن الواضح أن أنسب مكان لها هو علم الأحياء. وقد أشار تلميذ فى الثالثة عشرة من عمره إلى تلك الحقيقة بقوله «إذا لم يدرس الناس علم الأحياء فإن تفكيرهم يصبح محدود الأفق، كما أنهم يصدمون عندما يقفون فى المستقبل على حقائق الحياة. حقاً أنها لأمور تدعو إلى العجب ولكنها ليست إلا أموراً طبيعية».

وليس ثمة صعوبة أساسية فى إدخال دراسة الجنس فى منهج الأحياء بل يستحيل علينا تماماً أن ندرس مادة الأحياء بشكل مرض بدون أن نتعرض لموضوع الجنس والتناسل. ذلك لأنه قد يكن أخص ما تتميز به الكائنات الحية هو أنها تتناسل وفى معظم الحالات يكون تناسلها بالتزاوج. والجهل بهذه الحقيقة معناه هدم علم الأحياء من أساسه وتقويض أركانه ودعائمه.

وعندما يتحدث المعلمون عن انقسام الأميبا انقساماً لا جنسياً بسيطاً فإنهم لا يشعرون بأدنى حرج، كما أنهم يصفون تكاثر دودة الأرض والضفدعة بالأمانة العلمية المناسبة. غير أن كثيراً من المدرسين يشعرون بالحرج ويرتج عليهم عندما يصلون فى دروسهم إلى موضوع الإخصاب الداخلى للطيور وتزاوج الثدييات، وكأن هذه الموضوعات حجر عثرة فى سبيل استرسالهم فى الدرس. وغير أن هذه الصعوبة لا تتمثل فى عقل التلميذ وإنما تتمثل فى عقل المعلم فقط. ولو قد تحرر المدرس من هذا الشعور وكانت الفرصة قد أتيحت للتلاميذ من قبل كى يألفوا هذه الموضوعات عن طريق تزويدهم بالحد الأدنى المناسب من المصطلحات وبفكرة مبسطة عن

التذكير والتأنيث وعن التزاوج والإخصاب وعن تكون الأجنة لتمشوا بشكل طبيعى مع شرح المدرس لموضوع الطيور والثدييات.

وفى تلك الحالة يستطيع المدرس الماهر أن يعاونهم بشرحه على فهم مغزى الإخصاب الداخلى ونمو الجنين فى الرحم، كما يستطيع بكل تأكيد أن يحفزهم إلى استنتاج كثير من الحقائق بأنفسهم.

أما العقبات التى تحول دون تحقيق ما سبق فكثيرة منها أن طريقة تدريس مادة الأحياء فى مدارسنا هى الطريقة التطورية التى تبدأ بدراسة الأميبا فوحيدة الخلية فالديدان فالضفادع فالطيور وهكذا حتى الثدييات. ويؤخذ على هذه الطريقة - رغم محاسنها العديدة - أنها لا تتيح الفرصة لدراسة الإنسان إلا بعد الفراغ من دراسة الكائنات الأخرى. وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة حركة قوية تنادى بتغيير الطريقة التقليدية فى تدريس علم الأحياء كما لقيت كثير من المدارس نجاحاً كبيراً فى تدريس تلك المادة بطرق جديدة.

ويقوم الاتجاه الجديد على إهمال الطريقة التطورية القديمة التى تبدأ بدراسة الكائنات البسيطة ومنها إلى المعقدة، وينادى بأن نبدأ بدراسة الجنس البشرى منذ بداية المرحلة الثانوية أى عندما يبلغ الأطفال الحادية عشرة تقريباً والواقع أن الأطفال فى هذه السن يهتمون بالكيفية التى تعمل بها أجسامهم بل إنهم بذلك أكثر من اهتمامهم بتفاصيل انقسام «البراميسيوم»[1]. والقول بأن إجراء التجارب على الجسم البشرى يستحيل بدون وجود معمل مستكمل الأجهزة قول خاطئ يجانب الحق. فنحن لو وفرنا لدرس وظائف الأعضاء عند الإنسان بعض الأوانى الزجاجية وبعض أنابيب المطاط وبعض المواد الأخرى البسيطة، وكنا على قدر مناسب من الكفاية وحسن التصرف لأمكننا ابتكار تجارب يمكن إجراؤها فى أية مدرسة وبذلك تصبح دروس علم وظائف الإنسان أمراً مشوقاً للغاية. وإذا سرنا على النهج السابق استطعنا أن ندرس موضوع التناسل بطبيعة الحال عندما يجئ دوره وحذونا فى ذلك حذو ما نفعل إذا كنا ندرس موضوع الهضم مثلاً، فكلاهما حقيقة طبيعية وينبغى أن يعالج على هذا الأساس. وعندما ننتهى من دراسة الغدد التى تفرز اللعاب والدموع والعرق واللبن يمكننا الكلام ببساطة عن الغدد الصماء ذات الإفراز الداخلى، كما يمكن اتخاذ دراسة هذه الغدد وأثر إفرازاتها فى اتزان الجسم وسيلة سهلة للانتقال إلى الكلام عن وظيفة الخصيتين والمبايض كأعضاء تفرز الهرمونات، ومن ثم إلى الكلام عن دورها فى إنتاج الخلايا الجنسية ومن ثم إلى الكلام عن مسألة التناسل بأجمعها.

وللتبكير بمثل هذه الدراسة فوائد واضحة فيما يتعلق بالتربية الجنسية، إذ ينبغى أن تتم تلك الدراسة فى سن الثانية عشرة على الأكثر وذلك لكى تؤدى الغرض المزدوج منها: أن

---

(١) حيوان أولى هدبى وحيد الخلية.

تجعل من مصادر المعلومات المعوجة أمراً تافهاً غير جذاب، وأن تجنب الطفل ما قد يحدث في نفسه من اضطراب انفعالى عندما يكشف «حقائق الحياة». أما إذا أرجأناها لما بعد هذه السن فإنا نكون قد أرجأناها أكثر مما يجب فنندم حين لا ينفع الندم. فمما يصل إلى أسماعهم من أحاديث الكبار، ومن أوصاف أترابهم العارفين ومن الكتب السرية المتبادلة بينهم، والكتابات التى يكتبها الأطفال فى دورات المياه يكون معظم الناشئين قد التقطوا قدراً كبيراً من المعلومات الخاطئة قبل أن يستطيع الأب بمحادثاته الصريحة أو المعلم بدروسه الصحيحة أن يرفع الستار قليلا عن هذا السر المغلق. ذلك لأن الأطفال فى أثناء التقاطهم هذه المعلومات عن الأمور الجنسية من مصادر الحوارى والأزقة تتسم أفكارهم بما تحتويه تلك المعلومات من أخطاء وما يشوبها من أدران. وإذا كانت مهمتنا على ما هى عليه من عسر وصعوبة، فما بالك إذا أهملنا من جانبنا وأخلينا الجو سنوات لأولئك المتطوعين للإدلاء بالمعلومات الملوثة؟ لاشك فى أن الأمور سوف تكون أسوأ والمهمة أشق. كما أن لهذا التعليم المبكر فضل إعداد البنت لاستقبال حالة الطمث وإعداد الولد لفهم ظاهرة القذف المنوى.

وربما كانت أهم فوائد تبكيرنا فى هذه الدراسة من وجهة نظر المربى هو رد الفعل من جانب الأطفال أنفسهم. فإذا كان متوسط سن تلاميذ الفصل يقع بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فسوف يكون معظمهم قد شرع يهتم اهتماماً وجدانياً بمسائل الجنس. وإذا لم تكن تربيتهم السابقة على ما يرام فإنهم يشعرون نحوه بجانب غير يسير من الحرج. والجو الذى يسود فى مثل هذا الفصل يتطلب من المعلم جهداً لا يتطلبه فصل من الصغار. وقد أجمع المربون الذين عالجوا هذا الأمر على أن تلميذ السنة الأولى الثانوية الذى لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره يصغى إلى بحث هذه المسألة كلها بسرور وبشكل طبيعى، وهذا ما لا يحدث دائماً فى حالة كبار التلاميذ.

ومن الأهمية بمكان ألا نمد التلاميذ الذين فى هذه السن بأكثر مما يناسبهم من المعلومات. فكثيراً ما يذهب الحماس ببعض المربين فى ميدان التربية الجنسية إلى مدى يجعلهم يتصرفون تصرفات يتجافى مع الحكمة السابقة. ولعلك توافقنى فى الرأى على أن معظم الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بعد لا يكادون يدركون للحساسية الجنسية أى معنى، فكيف ننتظر منهم أن يدركوا متعة المباشرة الزوجية، وفى وقت لم يشعروا فيه بعد بالحافز الجنسى المكتمل والانفعالات الجنسية الناضجة. فإذا ما حدثناهم عن فكرة الجماع كتعبير عن الولع والمحبة لما صادفت عندهم ما هى جديرة به من التقدير ولبدت لهم مضحكة نوعاً ما. ومن منا والحق يقال، إذا التزم جادة الأمانة واحتكم إلى المنطق، لا يشعر بأن الجماع عملية تبعث على الدهشة والعجب حقاً؟ ولذلك ينبغى علينا أن نتحدث مع صغار التلاميذ عن العلاقة بين الجنسين على أنها فى صميمها وسيلة للتناسل، ولا نمس الناحية العاطفية منها إلا مساً

رقيقاً. إن هؤلاء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم بعد إنما ينشدون الحقيقة - هم يريدون أن يعرفو كيف تعمل الأشياء؟ نحن لا ننكر أننا سوف نصادف فى أسئلة بعض الأطفال ما يشير صراحة أو ضمنا إلى رغبتهم فى معرفة الناحية الانفعالية للعلاقة الجنسية. وينبغى علينا فى مثل هذه الحالات وفى سائر ميادين التربية الأخرى أن نسير وفقاً للقاعدة الذهبية التى تتطلب منا تحقيق الرغبات التى يبديها الأطفال والتزام الأمانة فى الإجابة عن أسئلتهم مع الإدلاء بالتفصيلات على قدر اهتمامهم بها. كما تحذرنا من أن نفرض عليهم أفكاراً تبدو أنها ترهق أذهانهم، أو أنهم يعجزون من الناحية الانفعالية عن إدراكها.

ويبدى الأطفال عادة فى هذه السن اهتماماً عظيماً وقدرة كاملة على فهم الحقائق الفسيولوجية التى تحتاج فى عرضها المبسط إلى المفردات الآتية: البويضة (أو البيضة) والحيوان المنوى والمبيض والخصية (أو مكان الحيوان المنوى) والقناة المبيضية (أو قناة البيض) والحبال المنوية (أو أنابيب الحيوانات المنوية) والرحم والمهبل والقضيب والجماع (أو التزاوج أو المعاشرة الزوجية) والإخصاب والحيض (أو العادة الشهرية) والاستحلام (أو القذف المنوى فى أثناء النوم) والجنين والحبل السرى والخلاص. ويستطيع الأطفال أن يفهموا معنى هذه المفردات فهماً صحيحاً. وإذا اتخذنا هذا نقطة للبداية يمكننا أن نتدرج منها إلى ذكر نبذة مبسطة جداً عن الغدد اللاقنوية والهرمونات والخصائص الجنسية الثانوية وطبيعة المراهقة. ويتطلب هذا الأمر من غير شك كل ما فى وسع المدرس من حذق ومهارة فى تقدير الحد الذى يذهب إليه فى الشرح مراعياً فى تقديره لذلك الحد نوع استجابة الفصل.

ويحتاج وصف العملية الجنسية فى الفصل إلى عناية خاصة. وليس ثمة داع إلى التوسع فى الشرح. بل إننا نحذر من هذا التوسع فلربما كان بين الأطفال الذين يستمعون إلى الشرح من شاهد عملية الجماع فعلا - يقوم بها والداهم، ولذلك إذا كانت ظروف المنزل واكتظاظ الحى بالسكان يساعد على ذلك أو فى أية ظروف أخرى - ولربما لا يكونون قد فهموا بالضبط ماذا كان يحدث فى ذلك الوقت. ولكنها خبرة تركت أثرها، وفى بعض هذه الأحيان يكون هذا الأثر عميقاً خطير النتائج. ولربما كان بينهم أطفال وصلوا إلى البلوغ مبكرين - وليس معنى ذلك أنهم أصبحوا ناضجين من الناحية الفكرية فالبلوغ الجنسى المبكر لا يكون ملازماً دائماً للنضج الفكرى المبكر - ففى مثل هذه الحالات قد يؤدى التوسع فى التفصيلات إلى استثارتهم من الناحية الجنسية وذلك ليس من مصلحتهم فى شىء. وكل ما ينبغى على الطفل أن يعرفه فى هذه السن أن القضيب يوضع فى المهبل. ويمكن أن يذكر له أيضاً أن الرجل والمرأة يضطجعان جنباً إلى جنب، وليس هناك ما يدعو إلى شرح أكثر من ذلك. فكل ما يلزم للتدريس فى الفصل هو الملخص البسيط جداً. ومما يدعو إلى العجب أن أغلب مدرسى الأحياء يتفادون حتى مثل هذا الشرح البسيط ويتمثل نفس الخوف فى كتب الأحياء المدرسية العادية،

ومدرسو مادة الحياء وكتبها صنوان لا يختلفان فى إغفال تلك الناحية. وثمة دراسة لهذه الكتب بما فيها معظم الكتب الشائعة الاستعمال فى المدارس الثانوية توصلنا إلى بعض النتائج الطريفة. فنحن لا نصادف فى أكثر من نصف هذه الكتب أية إشارة إلى التناسل البشرى، ولا يشار إلى موضوع الجماع إلا فى أقل من الربع، بينما لا نجد فى كتاب واحد منها تقريباً إيضاحاً كافياً لأعضاء التناسل عند الإنسان. وبالمثل فإنا نلاحظ أن هناك صورة معينة تحذف من معظم مجموعات الصور التوضيحية بالمدرسة، تلك هى صورة أعضاء التناسل عند الإنسان. فهل هناك شك فيما يظنه الطفل الذكى من أن هناك شىء غير مألوف عن موضوع الجنس اتفقت الكتب والصور على إغفاله؟! لذلك يحتم علينا أن نمد الأطفال بمعلومات مفصلة إلى حد كاف. لأن أطفال الجيل الجديد يلتقطون كثيراً من المعلومات الجنسية فى سن مبكرة جداً عن طريق الأفلام والصحف والمجلات وواجهات الحوانيت والمحادثة مع من يكبرونهم فى السن. وهذا يستلزم من المربين أن يكونوا دائماً على حذر من تقدير مدى المعلومات التى يجب أن تعطى قياساً على ما كانوا هم أنفسهم يرغبون فى معرفته فى سن معينة قبل عشرين أو ثلاثين عاماً خلت، وإلا كان من المحتمل أن يذكروا للأطفال قدراً من المعلومات أقل مما يعرفه هؤلاء فعلا ونتيجة لذلك يتزعزع مركز المربى فى نفس الطفل. وقد يحدث أحياناً أن يحاول أحد الخبثاء من التلاميذ «إحراج» المدرس بتوجيه سؤال محرج خارج عن المألوف، وخير أسلوب لمواجهة ذلك يكون بمواجهة التحدى وإعطاء الطفل الخبيث إجابة صريحة مفصلة واضحة.

وعندما يعالج موضوع التناسل عند الإنسان فى دروس الأحياء بالمدرسة يجب أن يعالج بنفس أسلوب المعالجة التى تعالج بها بقية أجزاء المنهج أى بدون انفعال خاص. كما يجب اعتبار هذا الموضوع صالحاً لأن يكون موضع نقاش بين التلاميذ أنفسهم. وهناك حالات قام فيها بعض المعلمين بإلقاء أحاديث عن الجنس ولكنهم أظهروا الامتعاض فيما بعد عندما سمعوا بعض الأطفال يتناقشون فى نفس الموضوع. وقد بهت المدرس الأول للعلوم فى إحدى المدارس الثانوية فى إنجلترا ذات مرة عندما رأى بعض تلاميذه فى المكتبة وقد استغرقوا فى تصفح القسم الخاص بالتناسل فى أحد كتب الأحياء الدارجة ذات الصور التوضيحية! من الطبيعى أن يحرص كل مدرس جدير بمهنته على أن تكون مادة الكتب المستعملة فى المدرسة من النوع المناسب. وفيما عدا هذا الاحتياط يبدو أن ليس ثمة ما يدعو إلى دراسة النبذ والصور والنماذج الخاصة بالأعضاء التناسلية ومراقبتها أكثر مما يحتاج الأمر بالنسبة للأذن أو أصبع القدم الكبير.

ولا يقتصر استخدام علم الأحياء كوسيلة للتربية الجنسية على دروس التناسل بصفة خاصة فقط بل إن علم الأحياء زاخر بالفرص المواتية للتربية الجنسية. فعندما نناقش موضوعات

بيولوجية مثل المعاشرة وتبادل المنفعة أو التطفل ينبغى أن يشار إلى اعتماد الفرع على الأصل كاعتماد الثمرة على النبات واعتماد الجنين على الأم[1]. كما ينبغى أن نشير إلى أن الأم لا تمد الجنين بالطعام فحسب وإنما تمده أيضاً بالأوكسجين وبمخرج للفضلات الزائدة عن حاجته.

كما يمكن الإشارة إلى هذه النواحى – ولكن بطريقة عرضية تماماً – عندما تعالج موضوعات التغذية والتنفس والإخراج على التوالى عند الإنسان، على ألا يكون القصد منها توجيه اهتمام خاص بالجنس وفقدان النظرة العامة الشاملة لكافة النواحى الأخرى. وإنما ينبغى أن نسترشد فى ذلك بالمبدأ البيولوجى أكثر من استمساكنا بالحياء الأعوج المتزمت. فكيف يمكن المدرس الذى يغفل الإشارة إلى التغذية عند الإنسان عندما يعالج موضوع التغذية عند الحشرات أو ينسى الكلام عن خياشيم أبى ذنيبة عندما يعالج موضوع التنفس عند الضفادع أن يؤدى مهمته على الوجه الأكمل؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نتعمد إذن إغفال العمليات الفسيولوجية المتغيرة الملازمة لنمو الثدييات؟ ولا يستلزم ذلك منا – إلا فيما ندر – ذكر كلمة الجنس صراحة. وإن كانت معرفة هذه العمليات كلها جزء حيوى من التربية الجنسية.

ويسير الأمر على هذا النسق فى الدروس الخاصة بالجهاز العصبى وأغلبها يتخذ من نظام التليفون وسيلة للإيضاح، ويمكننا أن نجعل موضوع الأفعال المنعكسة عند تدريسه لتلاميذ الفرق العليا أكثر جاذبية وواقعية إذا ربطناه بشرح طرق تكوين العادات والتعلم والنسيان وضبط النفس وما إلى ذلك. وقد تبدو هذه الموضوعات كلها واهية الصلة بموضوع الجنس – ولكن من الأهمية بمكان أن يعرف التلاميذ ماذا ينفرد به الإنسان من خصائص وماذا يشترك فيه مع غيره من الكائنات. إن أساليب التناسل عند الإنسان تشبه إلى حد كبير أساليب الأرنب، وينبغى علينا أن نوضح للأطفال كيف أن تكوين الجهاز العصبى للإنسان وهو على ما هو عليه من رقى وتعقيد – حاله فى ذلك حال النمو الاجتماعى وتقدمه – يحتم ألا يكون سلوكنا الجنسى كسلوك الأرنب تماماً. وليس لنا أن نغلى فى قيمة مثل هذا التعليم. فقد لا يكون له تأثير كبير فى سلوك التلميذ فى المستقبل ولكنه على أقل تقدير سوف يظهر للتلميذ الحكمة فى ضبط النفس فى المواقف المختلفة.

وموضوع الوراثة من الموضوعات التى لا يمكن معالجتها بالتفصيل فى معظم مناهج الأحياء. ورغم ذلك فينبغى أن يتضمن منهج الأحياء فى جميع المدارس الثانوية ذكر الخطوط الرئيسية لاكتشافات مندل وشرحها مع توضيح الجينات والكروموسومات. وسوف يؤدى هذا الشرح إلى فهم أسلوب التكاثر لا فى بازلاء مندل فقط وإنما فى سائر النباتات الأخرى والحيوانات أيضاً. ولكى نصل بالتعليم إلى أقصى ما نستطيع من المتعة والمنفعة ينبغى أن نضمنه الإشارة إلى

---

(١) ينبغى مراعاة الحرص التام لتفادى الإيحاء بأن هذه العلاقة ضارة بالأم، كما هو الحال بالنسبة للعائل فى حالة الطفيليات.

الأهمية الاقتصادية لتربية الحيوان وإلى أهمية عاملى البيئة والوراثة بالنسبة للإنسان. وليس صحيحاً ما يقال فى أغلب الأحيان من تعذر الجزم بأثر عامل الوراثة فى الإنسان، فعلى الرغم من استحالة التجريب فى تناسل بنى آدم لدراسة التوارث فيهم، فإن مقدار الحقائق الإحصائية الخاصة به تعوضنا عن ذلك وتهدينا فى موضوع الوراثة فى الإنسان إلى أكثر مما عرف عن موضوع الوراثة فى كثير من الأجناس الأخرى. وليس من الضرورى - ولا من المرغوب فيه - أن نستخدم مثل هذه المعلومات كدعاية لعلوم الأجنة والوراثة فى المدرسة فإن مجرد معرفة التلاميذ للحقائق سوف تدعوهم إلى التفكير فى ضرورة الفحص الطبى قبل الزواج وعدم صلاحية الزواج بين الأقارب وما شاكل ذلك. ومن الضرورى أن يعرض المدرس الجانب الآخر للمسألة فيوضح للتلاميذ أن هناك أموراً أخرى غيرى تلك المتعلقة بالوراثة ينبغى أن تكون موضع الاعتبار عند العزم على الزواج. وإذا تمت هذه المناقشات وفقاً لسن التلاميذ ومستوى نضوجهم فسوف تعاونهم على تكوين فكرة سليمة عن موضوع الزواج وإنجاب الذرية.

<u>علم وظائف الأعضاء والصحة</u>: قد يتعذر تدريس منهج مادة الأحياء على النحو الذى أسلفنا ذكره إما لعدم وجود المدرس المتخصص وأما لقصور معمل المدرسة عن تحقيق الغرض منه. غير أن فى استطاعة المدرس الكفء أن يتغلب على قصور المعمل وضيق الوقت لو كان للأمر هوى من نفسه. ومن الأهمية بمكان أن تخرج المطبعة العربية كتباً يمكن الاعتماد عليها حقاً فى إمداد التلاميذ بالمعلومات السليمة بدلاً من اقتصارهم على الكتب الشعبية التى غمرت الأسواق فى السنوات الأخيرة وتضمنت كثيراً من المعلومات الخاطئة. ومن الأساسى للموضوع ألا نقتصر فى علم الأحياء على الناحية التشريحية وإنما ينبغى أن ندرس (الفسيولوجيا) أو علم وظائف الأعضاء أيضا. أما مجرد الاقتصار فى علم الأحياء على حفظ دقائق تكون الجسم البشرى فمثله كمثل الاقتصار فى التاريخ على حفظ الجداول التاريخية كلاهما منوم فكرى عميق وعقيم الفائدة. وأخيراً فمن الأهمية بمكان أن يمرن المدرسون على إجراء عدد كاف من التجارب البسيطة التى تجعل تدريسهم قائماً على أساس علمى بدلا من أن يعتمد على مجرد الاستنتاج المنطقى.

وتشمل خطة الدراسة فى كثير من المدارس (وبخاصة مدارس البنات) مادة يسمونها فى أغلب الأحيان «علم الصحة». وهو اسم كثيراً ما يختفى تحته من القواعد الصحية ما يمكن التشكك فى صوابه وقيمته العلمية أو العملية ولا تستند إلا على حجج ضعيفة واهية. غير أن الأمور أخذت تتغير بسرعة، وعمد كثير من المدرسين المهتمين بالتربية الصحية إلى البحث فى برامجها بعين نافذة بصيرة حتى يبقوا على الوقائع البيولوجية الرصينة ويحذفوا منها ما يشبه الخرافات والأساطير. هذا إلى أن كثيراً من المعلمين قد شرعوا يتلمسون السبل لإدخال التربية الجنسية فى برامج علم الصحة. وليس لدينا ما نضيفه زيادة على ذلك تحت هذا العنوان لأن

معظم ما ذكرناه عن علم الأحياء كوسيط للتربية الجنسية ينطبق على هذه المادة تماماً، سواء درست كمادة مستقلة بذاتها أو كجزء من خطة العلوم العامة أو عولجت نواح معينة منها تحت عنوان علم الفسيولوجيا أو علم الصحة. ومهما كانت خطة التعليم فمن المشكوك فيه أن يكون للحقائق العملية التى تدرس من المنفعة ما للإيمان الذى يكتسبه كثير من التلاميذ لأول مرة من أن الجنس والتناسل من الأمور التى يمكن أن تناقش بصراحة فى الفصل وبلغة واضحة مستقيمة ليس فيها التواء أو غموض أو يشوبها غمز أو لمز أو تثقلها المواعظ التى تظهر التقى والورع وتبطن الرياء والنفاق.

الأمراض الزهرية: ومما ينبغى أن نبحث فيه موضع الأمراض الزهرية من التربية الجنسية. ليس هناك شك فى أن لها مكاناً فى التربية الجنسية وعلى الخصوص فى تربية كبار المراهقين والبالغين، غير أن ما يهمنا الآن هو أمر التلميذ بالمدرسة. ومع ذلك فإنه لا يمكن أن نتجاهل الموضوع تماماً، ذلك لأننا فى هذا العصر الذى تشيع فيه إذاعات الراديو وتزدحم فيه الحوائط والصحف والنشرات والإعلانات يغلب أن يكون كبار التلاميذ قد سمعوا عن الأمراض الزهرية. وإذا كنا، كما ينبغى، نصرح لهم بأن يسألوا المعلم عما يشغلهم فمن المؤكد أن توجه منهم الأسئلة عن هذا الموضوع. ولما كانت مقاطعة المسألة أمراً محالا وجب أن نبحث عن خير الطرق لتناولها بالحل والتدبير غير أننا نؤكد أن التربية الجنسية يجب ألا تكون، كما كانت فى بعض الأوساط منذ عهد بعيد، مرادفاً للأمراض السرية أو لفظاً يكنى به عن أهوال الزهرى والسيلان. وإذا كان من الأغراض الرئيسية للتربية الجنسية أن ينشأ الناس وفى إعتقادهم أن الجنس شىء رفيع نظيف سليم، فإن دراسة أمراض الأعضاء التناسلية تقتل أثر الدروس الأولى التى يتلقاها الطفل فى هذا الموضوع وتزعزع هذا الاعتقاد فى نفسه. ولذلك فمن الخير أن يستبعد موضوع الأمراض الزهرية من دروس التناسل فى المدرسة ولا داعى للكلام فيه ما لم يسأل عنه أحد التلاميذ.

وليس معنى ذلك أن نتجاهل الأمر تماماً، فمعظم موضوعات علم الأحياء تتضمن – أو ينبغى أن تتضمن – شيئاً عن الميكروبات وطرق معيشتها. ولماذا كانت كثير من فصائلها تعيش متطفلة على الكائنات الآدمية مما يتسبب عنه بعض الأمراض فإن دراسة الأمراض التى تتسبب عن الميكروبات لها موضعها الطبيعى فى منهج الأحياء بالمدرسة. ومن الواضح أنه ليست هناك من حاجة تدعو إلى التفصيلات الطويلة، فكل ما يتطلبه الأمر لا يعدو ذكر الأمراض الشائعة وأسبابها وطرق انتشارها والوسائل التى يمكن أن تتخذ لمكافحتها والقضاء عليها. وبذلك نثير اهتمامهم بتلك الدروس التى كانت ستصبح بدون هذه الناحية التطبيقية جافة لا مغزى لها. وإذا ذكرنا فى سياق الكلام عن البكتريا أن بعض أنواعها يصيب الحلق ويسبب الدفتريا فليس ما يمنع من الإشارة إلى أن بعض أنواعها يصيب أعضاء التناسل

ويسبب السيلان، بينما يمكننا بعد الكلام عن نوع الميكروب الذى يسبب الملاريا أن نشير إلى النوع الآخر الذى يسبب الزهرى، فإذا عالجنا موضوع الأمراض الزهرية على هذا النحو أى أنها بعض مظاهر نشاط الميكروبات فإنها تحقق الغرض الذى نرمى إليه بدون أن تكدر صفو دروس التناسل.

لكن ثمة اعتبار يدعونا داعى الحرص إلى الإشارة إليه وهو أن المدرس الذى يؤدى هذا الدرس ينبغى أن يكون متمكناً من المادة ملماً بحقائقها. لأن موضوع الأمراض الزهرية من الموضوعات التى ألبسها الخبال أثواباً زائفة. ولاشك فى أن قصصها طرقت أسماع بعض التلاميذ فى وقت من الأوقات ولسوف يدعوهم ذلك إلى توجيه أسئلة نافذة بصددها فمن الخير للمدرس أن يعد للأمر عدته على قدر استطاعته وذلك بأن يجهز الأجوبة الصحيحة مقدماً.

<u>المحاضرون الزائرون</u>: ولعل من الضرورى أن نتحدث بعض الشىء عما تعمد إليه بعض المدارس من دعوة أخصائيين إلى المدرسة لإلقاء محاضرات عابرة عن الجنس. لهذه الطريقة فائدة أكيدة لا شك فيها وهى أن هؤلاء المحاضرين أخصائيون فى تلك الناحية وهم بفضل رسوخهم فى العلم. وخبرتهم الواسعة فإنهم يلقون فى العادة دروساً خيراً من دروس المدرس العادى الذى لم يستطع بالضرورة أن يكرس نفس الوقت والعناية للتمكن من هذا الموضوع. وليس لهذا الأسلوب فوائد أخرى غير هذه، بل إن له نواح أخرى غير طيبة تجعلنا ننصح بعدم اتباعه فإن ما يصحب زيارة الأخصائى من تغير فى نظام المدرسة واستئذان أولياء الأمور أو إخبارهم بتأخر أبنائهم عن مواعيد الانصراف، وما قد يوجهه الناظر إلى التلاميذ قبل المحاضرة من (ملاحظات تمهيدية) قد تسىء عن غير قصد أكثر مما تنفع، كل ذلك يهيئ ظروفاً غير مواتية، وتجعلنا ننصح بتغيير هذا الأسلوب وننادى بأن يحل أعضاء هيئة التدريس محل هؤلاء فى القيام بهذه المهمة، ولسنا بهذا نخفض من شأن المهمة الجليلة والمهارة الفائقة التى يبديها أولئك الأخصائيون للقيام بما يدعون إليه فى مثل تلك الظروف، لكن هذا على لزومه – فى مطلع نشر التربية الجنسية – لا ضرورة له إذا ما تخطينا تلك المرحلة وشرعنا نعمل على القيام بها فى نطاق العمل المدرسى بصفة أساسية عامة.

أما إذا لم يكن بالمدرسة مدرس أخصائى فى علم الأحياء ولم يكن هناك مدرس آخر يشعر أنه كفء لتحمل أعباء مهمة التربية الجنسية، فإن المحاضرات أو الدروس التى يلقيها الزائر خير من لا شىء. وغالباً ما يتشجع بعض المدرسين ويتوقون إلى القيام بهذا العمل بأنفسهم بعد أن يسمعوا مثل هذه المحاضرات مرة أو مرتين، وبعد أن يحصلوا على الإرشادات اللازمة عن طريق عرض الموضوع، وبعد أن يلمسوا بأنفسهم الجو الطبيعى الممتع الذى يسود حجرة الدراسة فى أثناء المحاضرة. ونحن وإن كنا لا نحبذ فى التربية الجنسية سياسة الاقتصار على هذه المحاضرات العابرة أو أن تكون بحيث تدعو المدرسين إلى الاعتماد عليها والتهرب

من مسئولياتهم فى هذه الناحية، إلا أننا لا ننكر قيمتها إذا تناولت الموضوعات التى لا يكفى لها الدرس العادى أو إذا أدت إلى زيادة اهتمام التلاميذ وتشويقهم عن طريق التنويع المحبب إليهم.

الثقافة النسوية: وفى بعض مدارس البنات يقتصر تعليم الشئون المنزلية للفتاة على دراسة محدودة باسم «علم التدبير المنزلى» وغالبا ما توحى موضوعات بأن القصد منها ليس إعداد زوجات وأمهات للمستقبل بل التدريب على الخدمة المنزلية.

وقد عمدت كثير من المدرسات إلى تغيير موضوعات الدرس وطريقة التدريس بحيث تؤدى إلى تدريب الفتاة على إدارة شئون المنزل لا على مجرد الطهى والغسل.. وفى كثير من الأحيان تحتفظ هذه المادة باسمها القديم وهو «علم التدبير المنزلى» وفى بعض الأحيان يطلق عليها اسم جديد يتمشى مع ما طرأ من اتساع جديد ووجهة نظر جديدة فيطلقون عليها اسم «الأمومة» وهى إحدى النواحى الهامة للتدبير المنزلى، كما قد يتخذون لها اسماً يرمز إلى جانب مهم آخر من جوانب الإدارة المنزلية. غير أن إدارة المنزل وحدة متكاملة، فإذا أطلقنا عليها اسماً عاماً مثل «إدارة المنزل» مثلا نكون قد فعلنا ما يذكر المدرسة والتلميذة بتلك الوحدة.

ويمكن أن نجعل لدراسة «فن تدبير المنزل» قيمة فائقة فى التربية الجنسية وخاصة فى معالجة تلك النواحى التى لا تتصل بموضوع التناسل والتى يتميز بها البشر عن غيرهم من الكائنات الحية. ولاشك فى أن معرفتنا للناحية البيولوجية للتناسل سوف تكون ناقصة إذا لم نعرف كيفية العناية بالأم فى فترة الحمل والوليد بعد ولادته. ودروس التدبير المنزلى تهيئ المكان المناسب لمثل هذه الدراسة. ونلاحظ أن العناية الصحيحة بالأطفال لا تعنى مجرد إعداد طعامهم وملبسهم وتنظيف أجسامهم فقط، ولكنها تستوجب الإلمام المناسب بتكوينهم الجسمى والفكرى والانفعالى، وهى نواح بالغة الأهمية وقد اكتسبت أهميتها من كوننا لا ننظر إلى المنزل كوحدة منعزلة وإنما كجزء من صلب المجتمع يتبادل معه الحقوق والواجبات. وأمامنا فرص كبيرة فى دروس التدبير المنزلى لمعالجة أمور على جانب كبير من الأهمية تؤدى فى النهاية إلى خلق إحساس بقيمة الحياة العائلية ومسئولية الزوجية نحو المجتمع.

ونظراً إلى تفريق المجتمع بين الجنسين فى نوع العمل فقد اقتصروا فى الماضى على إعداد الفتاة فقط لتلك الناحية. ويخيل إلينا أنه كان من المفروض أن الفتاة ليست فى حاجة إلى شىء من الخبرة فى فن النجارة البسيطة أو عمل الأجراس الكهربائية مثلاً، وعلى أن البنين ليسوا فى حاجة إلى الإلمام بكيفية حياكة زر أو سلق بيضة مثلاً؛ غير أن طبيعة الحياة الاجتماعية فى عصرنا الحاضر تحتم شيئاً من التحول. ونظراً لزيادة تحرر المرأة من الناحية الاقتصادية واضطرار الرجل إلى المساهمة فى تحمل أعباء المسئولية فى المنزل فإن مناهج الدراسة ينبغى أن يدخلها شىء من التغيير. وإذا كانت دروس «الأمومة» ضرورة للفتاة فإن

الشاب فى حاجة إلى دروس «الأبوة» والأفضل من ذلك كله أن يشترك الطرفان فى دراسة منهج عام فى تدبير المنزل. وبهذه الطريقة يمكننا أن نتخذ من فكرة الحياة الزوجية السعيدة المنظمة وسيلة لدعم الاتجاهات السليمة نحو الجنس والزواج، كما ينبغى أن نعتبر دراسة «الحياة العائلية» إحدى الوسائل الناجحة للتربية الجنسية فى سائر المراحل. ألست ترى الصغار وهم يرعون شئون دمياتهم كما لو كانوا أمهات لها حقاً؟ ولا يقتصر هذا الاهتمام على البنات فقط بل هو مشاهد فى حالة البنين أيضًا. كما أن تربية الدواجن فى المدرسة الابتدائية تعطى الأطفال الفرصة لملاحظة حياتها العائلية. ولعلك تلمس فى الفتاة الناضجة ميلاً إلى صغار الأطفال وحدباً عليهم، ذلك الميل الذى يبدو من سلوكها نحوهم وكأنها تتطلع إلى ذلك اليوم الذى تنجب فيه أطفالاً لها. ويمكننا أن ندلل على صحة هذا القول بملاحظة أبدتها إحدى الفتيات من شمال إنجلترا وكانت فى ربيعها الخامس عشر وذلك بعد أن شاهدت فيلماً فى التربية الجنسية، قالت «.. ولى ملاحظة بسيطة عن الفيلم وإن كانت لا تنتقص من قيمته، لقد كان عملياً أميناً إلى أكبر حد، وأعتقد أنه كان واقعياً أكثر من اللازم. ولم يتدخل فى الناحية الشخصية أو يمتلئ بالانفعالات – وعندى أن الإكثار من عرض صور الأطفال ولما يزالوا فى المهد واتخاذهم محوراً للفيلم هو خير وسيلة تقرب هؤلاء الأطفال إلى قلوب الكثيرين والكثيرات وبخاصة الفتيات وتدفعهم إلى الحدب عليهم والاهتمام بهم».

وهناك ما يدحض القول الشائع بأن الشعور بالحنان والعطف نحو الأطفال شىء فطرى لدى الإناث دون الذكور، فإن العكس هو الذى يحدث فى بعض المجتمعات. ففى قبائل مانوس بغانة الجديدة يلعب الأب الدور الرئيسى فى تربية الأطفال. ومن طريف ما يذكر أن نفراً من أهل القبيلة استحضروا معهم بعض التماثيل الصغيرة من قبيلة مجاورة فاهتم بها الصبيان أكثر من اهتمام البنات بها وأقبلوا عليها بشغف يلعبون بها كما يلعب أطفالنا بالدمى.

التربية البدنية: يتبين مما سبق أن مادة العلوم يمكن أن تصبح وسيلة التربية الجنسية غير أن بقية المواد الأخرى تتيح لنا مجالاً للتربية الجنسية لا يقل فى الأهمية عن الفرص التى تتيحها لنا مادة العلوم. فيمكن استغلال هذه المواد إلى حد ما فى إعطاء الطفل معلومات صحيحة من الناحية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والإنسانية – وهذه المعلومات مهمة للطفل لأنها توقفه على تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه وعاداته. كما يمكن أن تهيىء الفرص للكلام عن الأمور التى لها اتصال بالعقيدة والسلوك الجنسى بشكل يشجع التلاميذ على تكوين اتجاهات سليمة. أى أنها توفر حقلا خصيباً للدراسة – وإذا كان مدرسو الأحياء قد فكروا كثيراً فيما تهيؤه هذه المادة من فرص للتربية الجنسية فإن معظم مدرسى المواد الأخرى لم يوجهوا من الاهتمام إلى هذا الأمر إلا أقله. ولما كان مؤلف هذا الكتاب ممن يشتغلون بالعلوم

فسوف يدلي هنا ببعض المقترحات فى بعض المواد وهو يرجو اعتبارها مجرد خطوط أولية للإرشاد تخضع للتجريب وتقبل التعديل على يد المتخصصين فى كل مادة من هذه المواد.

إن أخصائى التربية البدنية يستطيع أن يشغل مركزاً هاماً فى أية خطة متزنة للتربية. وقد أخذت معظم المدارس تطلق على اختصاصه اسم «التربية البدنية» وذلك بدلا من الاسم القديم وهو الرياضة البدنية وهذه علامة طيبة تعنى أن أولئك المسئولين عن صلاحية التلاميذ من الناحية الجسمية قد أدركوا أخيراً أن هؤلاء التلاميذ فى حاجة إلى أكثر من مجرد التكوين العضلى فللإنسان خصائص معينة وإحدى هذه الخصائص هى العلاقة الوثيقة بين الجسم والعقل أو بتعبير أصح بين الجسم «والنفس». وهنا يكمن السر فى أهمية التربية البدنية كوسيلة للتربية الجنسية. فإن الأطفال عندما يزاولون ناحية من نواحى النشاط الفردى يشعرون بقيمة التعبير عن الذات ويحسون بالمتعة عندما يصبحون ملتقى الأنظار، وهم عندما يساهمون فى نشاط الريق يتبينون ضرورة إخضاع النفس للجماعة. وكل هذا جزء من التكوين العام للخلق ولهذا فإن له مغزى هاماً بالنسبة للتربية الجنسية.

كما أن لدى معلم التربية البدنية فرصاً أخرى غير ما سبق. فهو يلازم الطبيب عادة أثناء الكشْف الدورى على التلاميذ، كما تتهيأ الفرصة لكل من المعلم والطبيب للتحادث مع التلميذ حديثاً قد يكون مفيداً للمراهق ومرشداً للبالغ. كما أن هناك إمكانيات أخرى فى دروس التربية البدنية، فنحن إذا ربطنا التمرين العملى للجسم مثلاً بالشرح الفسيولوجى البسيط – ولو لم يتجاوز الحديث خمس دقائق كل مرة – تسنى لنا أن نتكلم عن بعض المشاكل التى تعرض فى مناسباتها كمسائل القذف المنوى والعادة السرية والطمث ولسنا فى حاجة إلى القول أن بداية الكلام عن هذه الموضوعات ينبغى أن تكون فى دروس الأحياء ولكن هناك نواح معينة منها يحسن أن تعالج بطرق أخرى. ففى حالة الطمث مثلا نلاحظ أن الكلام عن المغزى الفسيولوجى للدورة يجد مكانه بشكل طبيعى فى درس الأحياء، ولكننا إذا ناقشنا التفصيلات الصحية المتعلقة بالطمث، وعن التعليمات التى تتعلق بالاستحمام والتمرينات البدنية الملائمة لتلك الفترة وما إلى ذلك نكون قد حملنا درس الأحياء أكثر من طاقته. كما أننا نستطيع فى درس الأحياء أن نوضح كيف يؤدى نشاط الخصيتين فى العادة إلى الاحتلام وإن استثارة احساسات المشاعر الجنسية قد يؤدى إلى العادة السرية عند كل من الجنسين، ولكن معالجة هذه النواحى بالتفصيل يقصر دونها درس الأحياء. أما إذا وضع مدرس الأحياء خطته بالاشتراك مع معلم التربية البدنية تيسر للثانى أن يكمل الشرح الذى بدأه الأول وأن يعالج المشاكل الشخصية التى يصادفها. ليس معنى ذلك أن هذا التقسيم صحيح دائماً، لأن كل شىء يتوقف على شخصيات المعلمين الذين يتولون هذه المهمة. ففى بعض الأحوال قد يكون من الضار أن يساهم معلم التربية البدنية بأى نصيب فى التربية الجنسية كما أن مدرس

الأحياء قد لا يكون مناسباً بالكلية فى الخطة السابقة فى أحوال أخرى. غير أن أنه بصرف النظر عن شخصية كل منهما، يبدو أن الخطة السابقة نافعة مفيدة.

مدارس التعليم المختلط: ويا حبذا لو استغل من يقومون بتعليم التربية البدنية إمكانيات هذه المادة بالنسبة للتربية الجنسية فى مدارس التعليم المختلط. وإذا استثنينا معارضة بعض المدرسين فلن يكون هناك ما يحول دون التحدث مع تلاميذ الفصول المختلطة عن الفسيولوجيا البسيطة للحيض والقذف المنوى. إذ من المرغوب فيه أن يعلم كل من الجنسين ماذا يحدث للجنس الآخر. ولو تم ذلك لأدرك شباب كل جنس مشاكل الجنس الآخر فقدرها ولأدى ذلك إلى فهم أمهات المستقبل للصعوبات التى تعترض المراهقين من أبنائهن فهماً حسناً. لكن هذا كله لا يعنى البتة أن نوغل فى تفصيل الحيض أمام الصبيان، أو أن نعالج مشاكل العادات السرية للأولاد أمام البنات.

وواجب على من تتولى أمر التربية الجنسية فى مدارس البنات أن تدفعهن إلى تجنب التشكي والتوجع فى فترة الحيض، حتى فكأن الحيض لديهن لعنة يردن لو لم تنزل بهن؛ وأن تشجعهن على محاولة القيام بالمهام اليومية المألوفة خلال أيام العادة الشهرية.

لكنا إذا كنا ننصحهن بمزاولة نواحى النشاط العادى فى تلك الفترة ينبغى علينا أن لا ننسى أن حالة الحيض مع ما يصحبها فى بعض الأحيان من تعب وألم أمر مكروه لدى الفتيات ولذا يحسن بنا أن ننصح البنين بتقدير ظروف أخواتهم فى تلك الفترة. ولعل معالجة هذه النقطة بالذات فى الفصول المختلطة تسبب مشكلة للمربى، إذ كيف نطالب الأخوة بتقدير ظروف أخواتهم فى تلك الفترة بدون أن نشعر البنات بأن هذه الفترة تجعلهن موضع الإشفاق؟ كما أن للبنات عادة موقف انفعالى خاص نحو دم الطمث يصعب على البنين إدراكه.

ويتكرر نفس الموقف عندما نتحدث عن مسألة العادة السرية وهى ليست على هامش التربية الجنسية وإنما هى من صميمها، بل أن التربية الجنسية الجديرة باسمها حقاً هى تلك التى تعالج هذه المشكلة بتفصيل مناسب. وليس من ينكر أن سائر الرجال قد أولعوا فى وقت من الأوقات بهذه العادة وقلقوا من أجلها كثيراً نتيجة لما سمعوه عن عواقبها الوخيمة، فينبغى على المربين الذين يتولون أمر المراهقين أن يعملوا على إزاحة كابوس الخرافات الجاثم فوق عقولهم حتى يعيدوا إليهم الثقة والاطمئنان. هذا فيما يختص بالبنين، أما فى حالة البنات فالأمر جد مختلف. يؤكد لنا بعض البحاثة أن العادة السرية منتشرة بين الإناث قدر انتشارها بين الذكور. فإذا صح قولهم هذا – وذلك إذا اعتبرنا العادة السرية مرادفاً لسائر أنواع المهيجات الذاتية – فإن العادة السرية عند البنات لا يترتب عليها نفس المشكلة الانفعالية التى تحدث فى حالة البنين. لأن معظم ما تفعله البنات ليس سوى مجرد تهيج شبه شعورى للشفرين والبظر عن طريق حركات الأرجل، ولا يعنى العملية التى يقوم بها المراهق عن قصد

ويرمى بها إلى الوصول إلى الإشباع الذاتى. وحتى عندما تكون الاستثارة الذاتية شعورية متعمدة فإن ما ينتهى إليه الحال عند الأنثى لا يجافى الناحية الجمالية بمثل ما ينتهى إليه الحال عند الذكر. كما أن هذه العملية لا تترك عند البنات نفس الشعور بالاشمئزاز والعار الذى يعقب مزاولة العملية عند المراهقين. ومهما كان عدد البنات اللاتى يزاولن العادة السرية بمعنى الكلمة، وسواء أكانت نسبة من يزاولنها منهن تصل إلى الحد الذى تصل إليه نسبة من يزاولها من الأولاد، فمن المحتمل ألا يعقب هذه العملية فى نفوسهن ما يعقبها عند البنين من انفعالات الرغبة والخوف والنشوة والاشمئزاز والندم. كل هذا يجعل من العسير علينا أن نعالج مشاكل البنين بشكل منتج في الفصول المختلطة ويجعلنا نظن أن مناقشة هذا الأمر بحضرتهن ربما يثير فى نفوسهن اهتماماً زائداً بهذا الأمر ليس له ما يبرره.

لسنا ننكر أن سائر المعلومات تقريباً صالحة للمناقشة من الناحية المثالية، وأن المدرس الممتاز قد يستطيع أن يصل إلى ذلك المستوى المثالى، لكن الواقع أن كثيراً من المدرسين قد يواجهون صعوبات شتى تقعد بهم عن بلوغ هذا المستوى. ولذلك يجمل بنا فى المدرسة المختلطة أن نعرض نواح معينة من التربية الجنسية على حدة، ويشترط لذلك ألا نفعل مايشعر أى الجنسين بأننا تعمدنا فصله عن الجنس الآخر وإلا كانت الطامة الكبرى إذ سوف تذهب به الظنون إلى أن علة الفصل – التى خفيت عليهم – إنما هى سر مشئوم.

وهذا هو السبب الذى يجعل دروس التربية البدنية ملائمة لتلك النواحى بنوع خاص. لأنه من الممكن فى هذه الدروس فصل كل جنس عن الجنس الآخر بحيث يلعب البنون فى جانب من الملعب والبنات فى الجانب الآخر. ولن يخامرهم الشك فى أى سبب للفصل غير داعى اللعب.

التاريخ: وإذا اتفقنا على أن طبيعة التربية الجنسية تحتم علينا ألا نفرد لها دراسة مستقلة أو نجعلها جزءاً من مادة معينة فى منهج المدرسة وعلى أن لها بعض نواح لا يمكن أن توفى على الوجه الأكمل إلا إذا تعاونت فى سبيل ذلك عدة مواد، كان من الطبيعى أن نبحث فى المعونة التى يمكن أن تؤديها تلك المواد الأخرى، تلك المعونة التى تبدو لأول وهلة غير ذات نفع محقق فى التربية الجنسية ونبدأ بالتاريخ.

ولو اتجه التاريخ – كما كان فى الماضى – إلى الاقتصار على مجرد حفظ أسماء الملوك والمعارك وتواريخها لما أمكن الإفادة منه كوسيلة للتربية الجنسية. ولكن الموقف قد تغير كثيراً عن ذى قبل إذ يعالج التاريخ الآن فى معظم المدارس كمادة ثقافية تستعرض فيها الحوادث على نطاق واسع دون أن نركز الاهتمام على توالى الملوك، وإن كان يمكن استغلال حتى تسلسل الملوك فرصة لمناقشة مبادئ الوراثة.

ومن المتع حقاً دراسة تطور الأسرة والكيفية التى تطورت بها العلاقات المنزلية وخاصة دور المرأة ومركزها فى مختلف العصور التاريخية. كما يمكن بسط الكلام عن كيفية نشوء الجماعة بحيث يتلذذ الأطفال عندما يطبقونه على تكوين العشائر فى وقتنا الحاضر. فدراسة حياة البدو فى الصحراء والنظام القبلى سوف تعطى فكرة مبسطة عن النشأة الأولى للعلاقات البشرية التى يمكن أن تكون أساساً للتفاهم والتسامح بين أفراد المجتمع. وتاريخنا الطويل حافل بتلك الفرص، وليس من العسير على الأطفال أن يروا أن الظروف التى أنجبت الملكة كليوباترة أو شجرة الدر كانت تختلف كثيراً عن نظيرها فى الحقب التالية عند ما اضطرت النساء تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية إلى الخضوع سلطة الرجل. والتاريخ القديم زاخر بالمادة التى تسمح لنا بدراسة تطورات العلاقة بين الرجل وزوجته فيقص علينا كيف أصبحت النساء فى روما بعد المكانة التى كانت لهن أول الأمر مجرد أملاك فى حوزة آبائهن وأزواجهن وكيف أنهن استرجعن جانباً من تلك المكانة بعد ذلك، وكيف أدت هزيمة روما على يد المتبربرين من الشمال إلى تغيرات كان لها أثر بعيد فى تغير وضع المرأة عند الرومان. وكيف أن مركز المرأة فى المجتمع الإغريقى قد اختلف على مر العصور من قسم إلى آخر. كل هذه المعلومات يمكن إدخالها فى دروس التاريخ العادية بدون أن يخرجها عن طبيعتها. فإذا ما تحدثنا عن تاريخنا القوى كان فى وسعنا أن نتبع مركز المرأة فى عصر الفراعنة ثم المركز المحترم الذى كفله لها الإسلام وأخيراً حركة تحرير المرأة والنهضة النسائية الأخيرة. وأخيراً فان التاريخ المعاصر يعطينا فى نمو الفاشية والشيوعية مثلين متناقضين لاتجاه النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نحو العلاقات بين الجنسين.

وينبغى على مدرس التاريخ أن يفيد أكبر فائدة ممكنة من الكلام عن نشأة هيئات الخدمة الاجتماعية ومراكز رعاية الطفل وعيادات الأمومة وما شابه ذلك. بينما يوفر بحث تعداد السكان وتغيره من الماضى إلى الحاضر مادة مشوقة لكبار التلاميذ.

إن ما ذكرناه فيما سبق لا يعدو أن يكون مجرد استشهاد. وليس فى مقدور أى شخص أن يقرر كيف ومتى يمكن استخدام دروس التاريخ كوسائل للتربية الجنسية اللهم إلا المدرس المتمكن من مادته، الخبير بتلاميذه، العليم بظروف مدرسته. وكل ما نستطيع أن نجزم به هو أن فى دروس التاريخ إمكانيات عظيمة فى انتظار من يستغلها.

الجغرافية: وثمة فرص مشابهة يتيحها لنا تدريس الجغرافية. والاتجاه الحديث فى تدريس هذه المادة هو توجيه جل الاهتمام إلى الناحية البشرية الصرفة. وهذا الاتجاه يفتح لنا مغاليق الطرق الموصلة إلى الهدف. فإن وصف نظام زواج الأطفال فى الهند يمكن أن يؤدى إلى مناقشة موضوع تحرير المرأة ومسئولية الحياة الزوجية ومسألة تعدد الزوجات. كما يؤدى إلى دراسة ما يتعلق بتلك النواحى فى تركيا وروسيا الحديثة لمعرفة كيف يمكن المرأة أن تطرح

قيودها جانباً وتساهم بنصيبها فى أعباء حياة المجتمع. والواقع أن دراسة هذه الموضوعات فى أية بقعة من بقاع العالم، سواء أكانت هذه البقعة على ضفاف الكنغو أو النيل أو الكانج أو التميز توضح لنا توضيحاً كافياً مدى الارتباط بين سلامة التقاليد الاجتماعية ومتانة البناء الاقتصادى وقوة العقائد الدينية وتوطد الحياة العائلية وبين فكرة المجتمع الصحيحة عن الجنس فى تلك البقعة بالذات. ومناقشة الناحية الجنسية عند تدريس الجغرافية البشرية أمر يحتاج إلى اللياقة كما هو الحال فى أى ميدان آخر من ميادين التربية الجنسية، إذ يجب ألا تتحول دراسة هذه المادة إلى مجرد أحاديث أنثروبولوجية عن الناحية الجنسية. وإنما نستطيع بالتدريج وبدون أن نكشف عن غرضنا أن نمد التلاميذ بالمعلومات الصحيحة التى تساعدهم على فحص التقاليد الجنسية فى المجتمع الذى نشأوا فيه فحصاً موضوعياً عادلاً، وتكسبهم القدرة على الوصول إلى أحكامهم بروح التسامح التى تبعثها المعرفة الجامعة والنظرة الشاملة دون أن يشوبها الوهن والضعف الذى ينجم عن الافتقار إلى القيم والمعايير اللازمة.

كما تتيح لنا دراسة الجغرافية المحلية فرصاً طيبة للدراسة المتعة القيمة وذلك عندما نستعرض ظروف المساكن المحلية وهيئات الخدمة الاجتماعية مثل مراكز الأمومة ودور الولادة ورعاية الطفولة ومدارس الحضانة إلى غير ذلك من المؤسسات. وفى وسع مدرس الجغرافية أن يفكر جدياً فى فرص أخرى تتيحها دراسة موضوعات أخرى غير تلك التى ذكرناها.

التربية الوطنية وعلم الاقتصاد: أدخلت مادة التربية الوطنية إلى مناهج الدراسة بالمدارس. ويمكن أن تكون لدروس هذه المادة قيمة كبيرة فى التربية مادة الجغرافية والتاريخ المحليين. بحيث يتطلب الأمر زيارة العيادات والمستشفيات ومراكز الخدمة العامة وما شاكل ذلك. كما تهيئ لنا زيارة المتاحف والمكاتب فرصة ثمينة لتوضيح دُورها فى توسيع الأفق الفكرى للمواطنين. وعندما يقوم التلاميذ بزيارة المحاكم ويستمعون إلى القضايا ويستخرجون ما فيها من عبر تبدو لهم بشاعة الزلل المؤدى إلى اختلاط الأنساب، كما تتضح لهم قيمة الحياة العائلية التى ترفرف عليها السعادة وكيف تصبح الأسرة السعيدة أساساً وطيدًا لمجتمع سعيد.

وعندما نتعرض فيها لموضوع الواجبات الاجتماعية يتناول الكلام تقسيم الأعمال بين الرجل والمرأة، وأى هذه الأعمال يعتبر عادة من «عمل الرجل» وأيها يعتبر من «عمل المرأة» وإلى أى حد يقوم التخصص على أساس اختلاف بيولوجى صحيح وإلى أى حد يقوم على مجرد التقاليد الاجتماعية، وكيف يجب أن تتناسب حرفة الرجل وحرفة المرأة مع حاجات الأسرة وحياة أفرادها.

كما أن هناك إمكانيات واضحة للتربية الجنسية فى دروس الاقتصاد. فإن دراسة ميزانية الأسرة والأجور تثير مسألة إيرادات العائلة، فإذا ما تعمقنا فى دراسة موارد الأسرة والأجور تثير مسألة إيرادات العائلة، فإذا ما تعمقنا فى دراسة موارد الثروة الحقيقية قادتنا هذه

الدراسة إلى الاهتمام بمشاكل كثافة السكان ونسب أعمارهم وبالتالى بنسب المواليد والوفيات. ولاشك فى أن مناقشة مثل هذه الموضوعات أمام كبار التلاميذ سوف تتفتح عن معالجة نواح كثيرة من التربية الجنسية.

اللغة: إن لمعظم الأدبيات الرائعة فى سائر العصور جانبها الجنسى، وهى فى أغلب الأحيان من نتاج الإلهام الجنسى، وليس فى وسع الذين لا يؤمنون بسمو الجنس أن يقدروها حق قدرها. وفى وسعنا إذا استلهمنا هذه الناحية أن نسمو بدراسة الأدب وأن نتخذه وسيلة إلى إدراك الجانب الإنسانى والروحى للجنس.

وتدريس اللغة فى أيامنا هذه لا يقوم على مجرد دراسة النحو والصرف وإنما أصبح يقوم على تذوق حلاوة الأدب والاستمتاع بأفكاره. وخير المدرسين من وجه تلاميذه إلى فهم مشاعر الأدباء الذين يدرسون إنتاجهم وإلى تحليل الدوافع التى وجهت سلوك الشخصيات التى تلعب دورها فى الروايات التى يدرسونها، وهم يعرضون الشعر على التلاميذ لا على أنه نظم رتيب من القوافى والأوزان وإنما كتعبير عما تجيش به نفس الشاعر من انفعالات عميقة جياشة، ولما كانت الناحية الجنسية هى النبع الذى تفيض منه كثير من هذه الدوافع والنزعات، والمصدر التى تصدر عنه كثير من الانفعالات. فمن الخطأ أن نتعمد إغفال هذه الناحية إذ بدونها تصبح دراسة الشعر والأدب جافة عقيمة. غير أننا نحتاج إلى الحكمة والروية لكى نقرر مرحلة الدرس التى ينبغى أن يعالج فيها المغزى الجنسى للقطعة الأدبية والحد الذى ننتهى إليه فى ذلك. والواضح أن هذا يتوقف على سن التلاميذ، ومقدار معلوماتهم فى علم وظائف الأعضاء ودرجة نضجهم من الناحية الانفعالية، كما تتدخل فى ذلك عدة عوامل أخرى. ومدرس المادة وحده هو الذى يستطيع أن يقرر تماماً ما الذى ينبغى عمله فى كل حالة معينة وذلك لمعرفته الوثيقة بتلاميذه وفهمه العميق لشخصياتهم. غير أن هناك مبادئ عامة ينبغى أن نشير إليها وأن نأخذ بها واحد هذه المبادئ أن دراسة الأدب يمكن بل ينبغى أن تستخدم كوسيلة للتربية الجنسية.

ومن الأهمية بمكان أن يعلم المدرس أن الأطفال يحصلون على جانب من المعلومات الجنسية من قراءتهم سواء أراد لهم ذلك أم لم يرد. ومن المؤسف حقاً أن يكون هذا التوجيه فى الغالب من نوع غير مرغوب فيه. والإنتاج الأدبى الخفيف الذى يغمر الأسواق، غالباً ما يبرز عاطفة الحب إما كأمر قذر شنيع أو كشىء خيالى لا يتم به النعيم إلا فى بقعة منعزلة عن شرور العالم تحرسها الملائكة ويظلها النخيل وتروى من نهر الكوثر. ولعل هذه الصورة الأخيرة أكثر أذى واكبر خطورة من تلك. ونحن قد نستطيع أن ننعى على هذا الاتجاه عند مؤلفى هذا النوع من الأدب الرخيص ولكن هذا لا يجدينا فتيلاً، لأن ذلك النوع من الأدب خفيف يقبل الناس على قراءته وهو واسع الانتشار. ولو حذر المدرس تلاميذه من قراءته ووصفه بأنه سقيم لقوى

الشك عند التلاميذ واعتبروا مدرسهم رجعياً من الطراز القديم. أليس من الحكمة إذن أن نهيئ الفرصة فى الفصل لقراءة بعض ما يهوى التلاميذ من تلك القصص ثم يطرح أمرها للمناقشة حتى يتضح للطلبة ما فيها من سقيم وهزال. ولا يكفى أن يقال للطفل إن ذوقك فاسد حتى يسمو ذوقه ولكننا قد نسمو بذوقه إذا بينا له لماذا نعتبر ذوقه فاسداً.

فإذا كان الفتى أو الفتاة يهوى قراءة قصص الغراميات النارية والحب المتأجج مثل روايات ابن الشيخ وألف ليلة وليلة والروايات الغثة الرخيصة فإن من الجهد الضائع أن نحاول دفعه إلى قراءة روائع الأدب وعالى القصص ذلك لأن فطمه عن مثل ذلك يتطلب جهداً وحكمة وحذقاً. أقصى ما يمكن أن نرجو بلوغه هو أن نحبب إليه بعض قصص الحب الرفيعة العالية فإذا هم وقفوا من هذه القراءة على بعض نواحى الجنس غير المهذبة، ألا يكون اطلاعهم على الجنس فى مآسيه وشهوته وعواقبه خيراً من اقتصارهم على قراءة ما سودت به صفحات الوريقات الصفراء الرخيصة!

ولعل فى وسع القراء إذا استعادوا ذكريات أيام التلمذة أن يتذكروا صورة مدرسهم وهو يعمد إلى إغفال فقرات معينة أو يمر مر الكرام على نبذ خاصة، وإذا تجرأ تلميذ وسأله عن سبب ذلك فإنه يرفض الإجابة عن سؤاله أو يعطى إجابة فيها تمويه واضح حتى ليمكننا أن نعتبر الرفض الصريح خيراً منها. أبمثل هذا تقوم آداب اللغة بدورها فى التربية الجنسية! حتى لكأن ذلك منها نقمة لا خدمة. إن عملية التربية الجنسية تتعثر بتلك الكيفية، إذ أن هذا السلوك يوحى بأن الأمور الجنسية ينبغى أن تطرح جانباً وأنها مما لا يصح أن يناقش علناً أو أن توجه عنه الأسئلة. ورغم ذلك فإن الناحية الجنسية تفرض نفسها على الأدب دائماً، لأن الأدب مرآة الحياة والناحية الجنسية دعامة من دعامات هذه الحياة.

نعم قد تحول بعض الصعوبات دون اتخاذ دراسة الأدب وسيلة إيجابية للتربية الجنسية، غير أن إهمال دراسة تأثير الحافز الجنسى فى الأدب لن يجعل التلميذ بمنجاة من الخطر الذى يتوهمونه وإنما يؤدى إلى عدم نضجه من الناحية الانفعالية أو يؤدى به إلى خوف وبيل أو رغبة جامحة فى الاستطلاع.

التعليم الدينى: ويذهب الكثيرون إلى التربية الجنسية ينبغى أن تتمشى مع مبادئ العقيدة الدينية. وموقف كل منا من هذا الرأى يتوقف على نوع معتقداته الدينية أو الفلسفية. غير أن الثابت أن الاتجاهات الطيبة نحو الجنس والسلوك الجنسى الممتاز ليست وقفاً على معتنقى دين معين أو ملة معينة، بل توجد هذه الاتجاهات الطيبة والسلوك الممتاز حتى بين الملحدين أنفسهم. وعلى كل حال فإن سائر الأطفال يتلقون قدراً من التعليم الدينى قبل أن ينتهوا من الدراسة، وإذا كان الأمر كذلك فإنا نستطيع عن طريق التعليم الدينى أن نفيد التربية الجنسية فائدة كبيرة.

obeikandl.com

ويحصل معظم الأطفال على أفكارهم الأولى عن الجنس فى أثناء دراسة النصوص الدينية من الكتب المقدسة، ومن الطبيعى أن يكون للكيفية التى تدرس بها تلك النصوص فى المدرسة أثر كبير على الاتجاه الذى يتكون عند الأطفال نحو الجنس. فإذا حدث ما يحدث غالباً وأسرع المدرس عند قراءة النصوص المتضمنة بعض الكلمات مثل «الأرحام» مثلاً أوحى ذلك إلى الأطفال بأن هناك شيئاً عجيباً بخصوص هذه الكلمة. وإذا تصادف وكان لبعض التلاميذ فكرة عن مغزى هذه الكلمة فإنهم يتبرعون بشرحها لزملائهم بعد انتهاء الدرس، وسوف يقبل الآخرون على الاستماع إليهم فى لهفة وشوق. ولا يؤدى ذلك إلى حصول الأطفال على معلومات مشوهة فحسب، ولكنهم سوف يشعرون - بحق - أن مدرسهم يتهيب الخوض فى شرح النواحى الجنسية لسبب من الأسباب.

وهذا الشعور الخفى - شعور الرهبة والخوف من مناقشة الأمور الجنسية - يسيطر على كثير من البالغين كلما مروا فى الدرس بكلمة تتعلق بالناحية الجنسية. إنهم سوف يصادفون كلمة (الختان) مثلا عاجلاً أو آجلاً وسوف يسأل التلاميذ عن معناها. وفى وسع المدرس أن يشرحها بمنتهى البساطة فيقول إن الختان عملية صغيرة تقطع فيه الجلدة الأمامية من القضيب. ومن السهل عليه بعد ذلك إبراز أهمية هذا العمل من الناحية الصحية فى المناطق ذات الجو الحار وفى بعض حالات خاصة فى المناطق الأخرى، ثم يشرح كيف اتخذت هذه العادة صبغة دينية. ويتطلب ذلك طبعاً أن يقف الأطفال مقدماً على مبادئ علم التشريح الأولى لأعضاء التناسل. وفى هذه الناحية من التربية الجنسية كما هو الحال فى سائر نواحيها الأخرى تعتبر معرفة الحقائق الرئيسية الفسيولوجية والتشريحية حجر الأساس لكل مجهود يبذل. وجدير بمدرسى سائر المواد المختلفة أن يسلموا أنه لا يصح أن يبقى الجنس كتاباً مغلقاً بالنسبة لتلاميذهم عندما يبلغون الثانية عشرة من عمرهم، بل إن الصفحات الأولى من هذا الكتاب ينبغى أن تكون قد قرئت قبل ذلك بعدة سنوات حتى لا يضطر مدرس الدين الذى لا يرغب فى تفادى شرح آيات معينة بسبب ما فيها من مفردات جنسية أن ينحرف بدرس الدين بحيث يصبح درسا فى علم وظائف الأعضاء، لأن مدرس الأحياء لم يوفق فى معالجة هذا الأمر فى مكانه الصحيح. وعندما يقرأ الأطفال قصة يوسف فهل تعتد أنهم يفهمون معنى كل ما يقرأون؟ وعندما يقابل الطفل فى السياق كلمة «زنا» أو ما شابهها ألا يتحرق شوقاً إلى استطلاع معناها؟ إن الأطفال يهتمون عادة باستيضاح هذه النواحى. ولعل فيما كتبته إحدى ناظرات المدارس دليلاً على ذلك، قالت: لقد خصصت لدرس الدين صندوقاً للاستعلامات تلقى فيه التلميذات بما يعن لهن من الأسئلة وقد تبين لى أن أسئلة الطالبات اللائى يتراوح سنهن بين ١٢ و ١٤ سنة تدور فى معظمها حول موضوعات الزواج والميلاد والطلاق.. إلخ. مثل:

- لماذا يتزوج الناس؟

– كيف يولد الطفل؟

– هل تظنين أن من حق الزوجين أن يطلبا الطلاق فيحرمان طفلهما السعادة؟

والواقع أنه ينبغى علينا أن نجيب على معظم هذه الأسئلة.

ومن يدرس الكتب المقدسة يدرس فى سياقها علاقات اجتماعية عديدة كما يستعرض سير الأنبياء والمرسلين والصالحين وكلها نماذج صادقة للفضائل المختلفة ثم يقارن بينها وبين ما يشيع فى عصرنا من قسوة وجفاف واتجاه إلى تغليب القيم المادية على القيم الروحية. لاشك فى أن فضائل الأنبياء والصالحين سوف تجد أرضاً خصبة فى نفوس الصغار الأطهار.

كما يتيح التعليم الدينى فرصاً أوسع لمناقشة النواحى الجنسية مع التلاميذ الكبار فعندما يدرسون (سورة الطلاق) مثلاً أو يدرس المسيحيون منهم (الموعظة فوق الجبل) يمكن أن تناقش مسألة الزنا والعلاقات الجنسية بأكملها ليس فقط من أجل أنها تكسب التلميذ معلومات قيمة وإنما لأنها تنير السبيل أمامه لتوجيه سلوكه الجنسى الخاص أيضاً.

إن ما ذكرناه لا يعدو أن يكون مثالاً للطريقة التى يستطيع أن يسلكها مدرس الدين لكى يعاون تلاميذه على التحلى بالأخلاق الفاضلة – وهى أخلاق لا تقوم على الخضوع لتقليد ما خضوعاً جبرياً وإنما تبنى على التأمل المستنير لأحداث الحياة فى الماضى والحاضر. هذا وفى وسع مدرس الدين الممتاز أن يكشف فرصاً أخرى غير ما ذكرنا للتربية الجنسية فى ثنايا دروس الدين، غير أننا لسنا بحاجة إلى تكرار القول بأننا لا ينبغى أن نغرر بالأطفال من الناحية الجنسية فى دروس الدين، كما يجب ألا نوجه إليها من العناية أكثر مما ينبغى فنجعلها موضعاً للمناقشة فى مناسباتها وغير مناسباتها.

الرياضيات: وإذا قلنا إن سائر المواد الدراسية حتى مادة الرياضة يمكن أن تعتبر وسيلة للتربية الجنسية فقد يبدو هذا القول لأول وهلة لوناً من الهذر أو إسرافاً يصل إلى حد السخف.

لكن الواقع أنه قول حق. إذ يمكن أن تشمل دروس الحساب ودروس الرياضة الأخرى بطريقة ضمنية مسائل تشير إلى العلاقات العائلية والاجتماعية وتتناسب مع المستويات المختلفة. ولاشك أننا بذلك سوف نثير اهتمام التلاميذ بما كان يمكن أن يصبح بدونه مجرد تكرار آلى جامدة.

والركن الاقتصادى ركن هام فى العلاقات داخل الأسرة. والفهم الصحيح لهذه الناحية من خير الوسائل للتربية الجنسية، ففى حالة صغار التلاميذ نستطيع أن نبسط المسائل عن مالية الأسرة بحيث نجعلها مثلاً على شكل كشوف المشتروات. أما فى حالة كبار التلاميذ فيمكن أن تكون الميزانية شاملة، ولسوف تؤدى المسائل المعطاة على ضريبة الدخل إلى مناقشات عن مرتبات الأسرة ودرجة الاستقلال الاقتصادى للزوجة – أو على الأقل يمكن أن تمدنا بالأسس

الحقيقية للمناقشة فى الدروس الأخرى. وبالمثل فإن مسائل المتواليات الهندسية يمكن أن تصبح واضحة ملموسة إذا كان موضوعها نسبة الزيادة فى الكائنات الحية ابتداء من الحشرة الدقيقة إلى الفيل الضخم ومن البكتريا إلى أشجار الخشب وذلك بدلاً من الأرقام الجامدة المجردة. والزيادة الهندسية لعدد السكان يمكن أن تؤخذ على أساس متوسط السن اللازم للبلوغ ومتوسط السن الذى يصلح لإنجاب الذرية. ولما كان من الواضح أن النتائج التى نحصل عليها من هذه المسائل لا تطابق ما يجرى فى الحياة الواقعية فإن اختلاف النتيجتين يفتح أمام التلاميذ باباً لمناقشة جميع العوامل التى تحد من عدد السكان. وعندما تدرس الرسوم البيانية هل هناك من الأسباب ما يحول دون جعلها تقوم على إحصائيات واقعية لنسب المواليد والوفيات ووفيات الأطفال وهجرة السكان؟

وثمة مسائل كثيرة تتعلق بأمور الوراثة يتشوق التلاميذ إلى حلها إذا استخدمنا النقود وورق اللعب. وليس هناك شك فى وجود إمكانيات أخرى للتربية الجنسية عند تدريس الرياضة ولكن الأمر يحتاج إلى عالم الرياضة كى يكتشفها.

خارج حجرة الدراسة: وفى وسع المدرسة أن تفعل الكثير فى سبيل التربية الجنسية حتى بعد استغلال جميع إمكانيات الدروس العادية فى المواد المختلفة فإن زيارة التلاميذ للمزارع وحدائق الحيوان وأماكن تربية المواشى سوف تفيدهم كثيراً كما أنها سوف تجعل دروسهم حية مرتبطة بالحياة. كما أن زيارة معاهد رعاية الطفولة ومدارس الحضانة ورياض الأطفال تصلح لكبار التلاميذ والتلميذات ولا يصح قصرها على النبات دون البنين. كما أن قيام التلاميذ بالمناظرات والمناقشات وتحرير المقالات يهيئ المجال لقدر كبير من التربية الجنسية، وينطبق ذلك القول بصفة خاصة على كبار التلاميذ وتلاميذ الفرق النهائية بالمدارس الثانوية إذ يتهيأ المجال للكلام فى موضوعات معينة مثل موضوعات الزواج ورعاية الأطفال والصداقة بين البنين والبنات ومشاكل السلوك الجنسى عموماً. ومن الأهمية بمكان أن نشجع الأطفال على التعبير عن آرائهم لأن ذلك التشجيع سوف يعاونهم على تنقيتها من الشوائب. ونحن عندما نسمح لهم بالإنصات إلى الآراء المتضاربة إنما نعاونهم على أن يبنوا آراءهم على أسس منطقة وطيدة. والواقع أن مثل هؤلاء التلاميذ وإن كانوا صغار إلا أنهم بالغون فى الحقيقة ولكى نكسب احترامهم يجب أن نعاملهم معاملة الكبار الراشدين.

إن المدرسة التى تعتقد أن مهمتها تنتهى بصلصلة الجرس معلناً انتهاء الدرس الأخير ليست جديرة باسمها، أما المدرسة التى يكون لها بالغ الأثر فى بناء الخلق وتوجيهه فهى عادة تلك التى تموج بالنشاط خارج ساعات الدرس كما لو كانت خلية نحل، فنوادى الألعاب الرياضية وجمعيات الخدمة الاجتماعية، هذه كلها مجرد أمثلة لنواحى النشاط المنظم الذى يمكن أن يؤدى إلى اكتساب مزيد من المعلومات كما يؤدى إلى تقوية الخلق وإلى تكوين ميول جديدة. كما

يمكن استغلال العطلات الأسبوعية والسنوية بتنظيم برامج لنشاط فرق السباحة والجوالة والمعسكرات المختلفة الأغراض وكلها نواح سليمة للنشاط.

وإذا سلمنا بأهمية تلك الوجوه من النشاط فى التربية وجدنا لمدارس التعليم المختلط ميزة كبيرة فيما يتعلق بالتربية الجنسية فى هذا النوع من الحياة خارج مناهج الدراسة. ولا يقتصر ذلك على حاضر الطلبة وحده إنما يمتد إلى مستقبلهم أيضًا، ذلك لأنهم لا يعيشون لحاضرهم فقط، وإنما سوف يشتركون معاً فى إقامة صرح حياة عائلية. نحن لا ننكر أن لمثل هذا النشاط خارج مناهج الدراسة مشاكله الخاصة غير أن له إمكانياته الكثيرة أيضاً. ذلك لأن البنين والبنات عندما يساهمون فى حياة المجتمع الصغير فى المدرسة ويشتركون فى تحمل أعبائه يمرنون على التفاهم واحترام الرأى والتصرف، كما يتعلمون بطريقة عملية كيف تقوم العلاقات بين الجنسين على الاحترام والتسامح والتقدير المتبادل.

وثمة أمور بسيطة قد لا نعيرها أى اهتمام ولكنها تؤثر فى اتجاهات التلاميذ من كل من الجنسين نحو ا لجنس الآخر تأثيراً عميقاً سواء أكانوا فى مدارس مختلطة أو غير مختلطة. لذلك يجدر بنا أن نسأل أنفسنا بعض أسئلة مثل: هل يساهم الطلاب فى إعداد الطعام بالمدرسة مثلاً أو يحدث ما يشعرهم بأن ذلك «من عمل البنات»؟ وهل نعلق على أى ضعف فى الوليد بقولنا «كن رجلاً»! أو «لا يفعل ذلك سوى النبات»؟ وهل ينشأ البنون والبنات بدون أن يبدو منا ما يشعرهم بالاحتقار أو العداء نحو الجنس الآخر؟ قد تبدو هذه الأمور تافهة ولكن آثارها عميقة باقية.

يتضح مما سبق أنه لا يصح لنا أن نلقى عبء التربية الجنسية على حقائق مادة واحدة من مواد المنهج. فليست مادة الأحياء أو الصحة أو غيرها بالتى تنفرد وحدها بخدمة هذه الناحية، ولكن يشترك فى ذلك الأدب والجغرافية والدين وغيرها من المواد ونواحى النشاط التى تبدو لأول وهلة غير مرتبطة بالجنس. والواقع أنها جميعاً يمكن أن تدرس بحيث تؤدى مهمتها فى تلك الناحية. وإذا اعترفنا بالحقيقة التى لا مراء فيها وهى أن التربية الجنسية ليست مجرد سرد «لحقائق الحياة» وإنما هى جزء من العملية العامة لبناء الخلق اتضح لنا أن منهج الدراسة بأكمله والحياة المدرسية بأكملها أيضاً ينبغى أن تشمل تلك الناحية باهتمامها.